

المحاضرة السابعة: شعر النقائض في العصر الأموي

إن النقيضة في اللغة هي المخالفة والتكلم بخلاف، وهو إفساد ما أبرم من عقد أو بناء ونقض البناء هدمه.¹

والنقائض اصطلاحًا: هي فن شعري طريف، شاع في العصر الأموي، بل هو مناظرة فنية بالشعر في عصبيات القبائل والعشائر.

والنقائض هي أن يقول الشاعر قصيدة يهجو فيها شاعر آخر ويسخر منه ومن قبيلته. ويفتخر بنفسه ورهطه وبما يتمتع بأنساب وأمجاد في الجاهلية وفي الإسلام فيجيبه ويرد عليه شاعرًا آخر بقصيدة أخرى على نفس الوزن والقافية وحرف الروي، فينقض ما جاء به الشاعر الأول من معانٍ ويضيف على ما جاء به الشاعر الأول من فخر وهجاء.

نشأة النقائض:

إن النقائض قديمة، وعرفت في العصر الجاهلي حيث الخلاف والنزاع بين القبائل فينتصر لها شاعر وهذا يقف مع هذه القبيلة ويفتخر بها في قصيدة ويعدد مناقبها ويهجو من يهاجمها ويعاديها والعصبية القبلية هي المدعاة الأولى لنشوء العصر، وقد وصلت إلى درجة الفن الذي وصلت إليه في العصر الأموي فكانت تتمركز في الرد على الشاعر ونقض المعاني التي أوردها في قصيدته.²

وجاء الإسلام فأصبح شعراء المسلمين يدافعون عن مواقفهم وعقيدتهم وكذلك المشركين على الكفر والشرك والأوثان يدافعون عنها، منهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبير.

ومن المسلمين نجد حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة³. لكن الهجاء كان فردي في هذا العصر، لم يكن دائمًا التقيد بالرد على الخصوم من الشعر أو بالوزن والقافية والبحر والروي، كما ابتعدت نقائض شعراء الإسلام عن الفحش في الهجاء وعدم جرح الأعراض وانتهاك الحرمات.

¹ ابن منظور، لسان العرب دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج7، ط41، دت، ص 242.

² مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبد حسين حسن قطناني مختارات من الشعر العربي القديم. ص89

³ نفسه، ص 90.

ولما جاء العصر الأموي ركز الخلفاء على إثارة العصبية القبلية وظهرت الأحزاب السياسية وأصبح التعصب الحزبي السياسي.¹ وفداها الخلفاء وولاتهم بما أعدلهم من قوة الشعراء الموالين للخلافة الأموية وعلى الأحزاب السياسية التي تقف وتؤيد الخلافة الأموية ولذا ازدهر فن النقائض هذا.

نقائض الشعراء في العصر الأموي:

كثرت النقائض في العصر الأموي واكتملت من حيث ميزاتها ومعانيها وأشكالها فقد سبقت نقائض جرير والأخطل التي دامت عشرين سنة أما نقائض جرير والفرزدق فقد دامت خمساً وأربعين سنة.² وهذا ما أتاح لنقائض جرير والفرزدق أن تكون أكثر عدداً وأكمل فناً وأتم صنغاً.

ويؤكد لنا الرواة أن خصومة وقعت مع جرير وشاعر آخر يسمى غساناً من أحد قبائل يربوع ودخل بينهما بنو مجاشع. ففتوق عليهم جرير فذهب بنو مجاشع إلى شاعرهم الكبير (الفرزدق) الذي كان قد فرغ نفسه لحفظ القرآن الكريم وصارت عنده نية ترك الشعر. فأظهر شيئاً من التردد، ولكن نسوة من قومه استثنينه للرد على جرير ومازلن به كذلك حتى شارك في المعركة الشعرية ضد جرير³ وكانت معركتها الكلامية في مسرح سوق المربد.

وفي عصر الحجاج بن يوسف الثقافي هدأت المعارك الأدبية وقويت بعد موته، واستمرت كذلك حتى لفظت أنفاسها مع موت أصحابها.

أسبابها:

هناك عدة أسباب وعوامل عقلية و اجتماعية وسياسية أدت إلى قيام النقائض في العصر الأموي نذكر منها.

- تشجيع خلفاء بني أمية لهذا الفن. لصرف الناس عن التفكير في السياسة ومن هم أحق الناس بالخلافة.

- التكسب المادي، إذ لم يكن جميع شعراء هذا الفن صادقين في تعبيرهم وقصائدهم من مدح ودم وهجاء، بل كان دافعهم الأول الكسب المادي.⁴

- تعدد الأحزاب السياسية في هذا العصر أدى إلى التعصب الحزبي لدى الشعراء والدفاع عنه.

¹ - نفس المرجع السابق، ص 90.

² - شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 242.

³ - نفسه، ص 243.

⁴ - مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عبيد . حسين حسن قطناني، مختارات من الشعر العربي القديم، ص 90.

- الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى دخول المدينة والتمدد إلى المجتمع البدوي، الذي رافقه دخول الطرب والغناء واللهو والتسلية. إلى مكة والحجاز. أما الكوفة والبصرة فقد تمسكتا بالبدوية. مما جعل سكان هذه المناطق يجدون في النقائص وسيلة لقضاء أوقات الفراغ والتسلية بما يليق به الشعراء من شعر.¹

- نمو العقل العربي وسيع مخيلته وخاصة الحوار والجدل. وعلى ضوء ذلك أخذ شعراء النقائص يتناظرون في أحوال القبائل ومفاخرها.

بعض نقائص جرير والفرزدق وجرير والأخطل:

يقول الفرزدق مفتخرًا بشرفه وأصله وقبيلته وعزة بيته:

إن الذي سمك السماء بنى لنا *** بيتا دعائمه أعزُّ وأطولُ

بيتا بناه لنا المليك وما بنى *** حكمُ السماء فإنه لا ينقل.²

ويجيبه جرير قائلاً:

أخزى الذي سمك السماء مُجاشعًا *** وبنى بناءك في الحضيض الأخطل

إني بُني لي في المكارم *** ونفحت كيرك في الزمان الأول³

ويهجو الفرزدق جريرًا يركز على دم قبيلته ونسبه وتحقيره فيقول:

وجدت قومك فقأوا من لؤمهم *** عينيك عند مكارم الأقوام

صغرت دلاؤهم فما ملأوا بها *** حوضاً، ولا شهدوا عراق زحام⁴

فأجابه جرير:

مهلاً فرزدق على العمى إن قومك فيهم *** خورُ القلوب وخفة الأحلام

الطاغون على العمى بجميعهم *** والنازلون ببشر دار مقام⁵

ويقال أن الأخطل الثغلي قد حكم للفرزدق بالسبق على جرير بعد أن أغراه بشر بن مروان والي

العراق بأن ينحاز للفرزدق بعد أن حكم بالسبق لجرير.

ويقول الأخطل:

¹- نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 62.

²- ديوان الفرزدق، ص 377.

³- ديوان جرير، ص 340.

⁴- ديوان الفرزدق، ص 311.

⁵- ديوان جرير، ص 311.

أخسا إليك كليب مجا شعا *** وأبا الفوارس نهشلا إخوان

وإذا سمعت يداوقد أقبلوا *** فأهرب إليك مخافة الطوفان¹

فيرد عليه جرير:

با ذا الغباوة إن بشرَ قد قضى *** ألا تجوز حكومة النشوان

تدعو الحكومة لستم من أهلها *** إن الحكومة في بني شيبان²

خصائص شعر النقائض:

1- طول النقيضة (القصيدة) : اختلطت العصبية القبلية بالأمور السياسية حيث خاضت النقائض في مدح الخلفاء والولادة إلى جانب الفخر والهجاء والولادة و إلى جانب الفخر والهجاء والغزل والمدح والأمور السياسية، وتقييد الشعراء بالوقوف على الأطلال ووصف الناقة والنسيب (الغزل).فقصيدة جرير الرائية بلغت أكثر من خمسين بيتاً.

2- التأثير بالإسلام: لقد دخلت المعاني الإسلامية في النقائض فبيئة شعرائها إسلامية، مثل قول الفرزدق يهجو جرير ويفتخر بنفسه:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها *** وقضى عليك به الكتاب المنزل³

وهذا ما ورد في القرآن الكريم "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ولو كانوا يعلمون"⁴

3- الإفحاش والهجاء: لم يتورع شعراء النقائض عن الفحش في الهجاء فلجأوا إلى الإقذاع واستعملوا أساليب وألفاظ وعبارات تناولت الأعراض فانتهكوها والمحرمات فأباحوها وبمنتهى التصريح الفاضح لا التلميح إلى درجة لا تقرها لا الأديان السماوية ولا الأخلاق العربية حتى قال جرير: "ما هجينا بشيء أشرقط أشد علينا من قول الأخطل"⁵

1- ديوان الأخطل، ص 271.

2- ديوان جرير، ص 217.

3- ديوان الفرزدق، ص 355.

4- سورة العنكبوت، الآية 41.

5- شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص 245.

4- اعتماد السخرية: كانوا يتمتعون في شعرهم بالسخرية من المهجو وذلك قصد تسلية الحضور في الأسواق (سوق المريد)

5- توليد الصور والمعاني: توفر لديهم خيال الخصب لابتكار الصور والمبالغة في المعاني واختراع الوقائع و الحوادث ما تضمن ذلك من اللجوء إلى الكذب والمهتان.

6- استخدام أسلوب المقارنة والموازنة: ويظهر هذا بين أسلوب الشعارين المتناقضين في الجمال والدقة والعدوية.

7- رصد صفات الخصم: عمدوا إلى الرصد لينهالوا على خصومهم بالهجاء والشعر المقذع.

8- النقائص فن دائم مستمر غير منقطع.

والحق أن النقائص لم تكن إلا مناظرات أدبية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وهي مناظرات احتفظ لنا بها الشعر العربي.

المحاضرة الثامنة:

الشعر في العصر العباسي

ينطلق العصر العباسي (132 هـ / 606م) بسقوط الدولة الأموية في الشام وقيام الدولة العباسية في العراق على يد سلالة أصغر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم، ألا وهو "العباس بن عبد المطلب" فنقلوا عاصمة الدولة إلى بغداد بالكوفة، بعدما كانت في دمشق عند الأمويين. و انتهى الحكم العباسي في سنة (656 هـ 1258م) عندما أقدم هولاءكو خان التثري¹ على نهب و حرق المدينة وقتل أغلب سكانها بما فهم الخليفة وأبنائه.

ويعود سبب سقوط الدولة العباسية هو بروز حركات شعبية ودينية مختلفة في هذا العصر، وهناك فرق دينية متعددة عارضت الحكم العباسي حول "الخلافة"، وكذلك من أسبابها الداخلية التي أدت إلى سقوطها انتشار الحركات الانفصالية، واتساع رقعة الدولة العباسية أدى إلى صعوبة المواصلات في ذلك الزمن، جعل الخلفاء والولاة في البلاد النائية يتجاوزون سلطاتهم ويستقلون بشؤون ولاياتهم دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصالية والتي لم تكن تصل بعد فوات الأوان ومن أبرز الحركات الانفصالية عن الدولة العباسية حركة الأدارسة وحركة الأغالبة والحركة الفاطمية.

ففي الدولة العباسية اختلط الأنساب والأجناس من عرب و فرس و روم و ترك و عجم، وتغيرت الحياة البيئية في كل المجالات من مأكّل و ملبس و آداب و سلوك، وذلك بالزواج من غير العربيات، حيث أصبح العرب ليسوا أفضل من سواهم في كل شيء.

انتشر في هذا العصر طبقة الجوّاري التي عني بها بيوت الخلفاء وقصور السلاطين والمماليك فانتشر الغناء والرقص واللهو والترف، كان هذا مدعاة إلى الفساد الاجتماعي للبيئة العباسية وظهرت طبقة الغلمان التي انتشرت بكثرة في هذا العصر.²

كل هذا أدى إلى الترف وانغمس الملوك في اللهو والضياع وانتشر شراب الخمر وانغمسوا في ملذات الحياة الماجنة، وهذا مرده أنّ الدولة العباسية أصبحت دولة فارسية بعدما استعان العباسيون بالفرس على نيل الخلافة. وأصبح الفرس والخرسانيون أبناء الدولة، الأمر الذي أثار نقمة العرب وبالأخص الشيعة منهم على العباسيون.

¹ - مصطفى خليل الكسواني، زهدي محمد عيد . حسين حسن قحطاني، مختارات من الشعر العربي القديم، ص 92.

² - نفسه، ص 93.

وتوسعت اقتصاديات البلاد في العصر العباسي توسعاً كبيراً مما زاد في الترف واللهو وتنوع الفنون وأصبحت بغداد لا نظير لها في ذلك الوقت في عمرانها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها وكثرة مزارعها وتطورت التجارة وتوسعت.

أما ثقافياً تطورت الدولة العباسية وذلك بتشجيع الخلفاء العباسيون الحركة العلمية وبالغوا في إكرام الأدباء والعلماء ولولهم أحياناً المراكز العالية، وكان للثقافة أثر كبير في الأدب من نحو ولغة وفقه.

الأغراض الشعرية في العصر العباسي:

1- الغزل: كان في هذا العصر ينبع من عاطفة صادقة، لذلك تميزت بالرقّة والتلطف وسار في

اتجاهين: الغزل العفيف مثل الذي نجده في غزل أبو فراس الحمداني لابنة المتوكل فيقول"

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر *** أما للهوى نهي عليك ولا أمر

بلى أنا مشتاق وعندى لوعة *** ولكن مثلي لا يداع له سر؟¹

ويقول أبو تمام متغزلاً:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى **** ما الحب الا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألّفه الفتى **** وحنينه أبدا لأول منزل

وأيضاً يقول البحثري :

أميرتي لا تغفري ذنبي **** فإن ذنبي شدة الحب

ياليتني كنت أنا المبتلى *** منك بأدنى ذلك الذنب

حدثت قلبي عنكم كاذبا *** حتى قد استحيت من قلبي

إن كان يرضيكم عذابي وأن **** أموت بالحسرة والكرب

فالسمع والطاعة مني لكم *** حسبي بما يرضيكم حسبي

و أما الاتجاه الثاني فتمثل في الغزل الماجن الذي كان سبب انتشاره مجالس الغناء والشرب والمجون في قصور الخلفاء وكثرة الجواري والقيان وطبقة الغلمان. فجاء غزلاً صريحاً حتى وصل إلى أقصى درجة المجون وذلك لانغماس الشعراء في أنواع الترف والنعيم مثل بشار بن برد وابن الرومي وأبونواس .

¹ - أبي فراس الحمداني، الديوان شرحه نجله قلفاط، مكتبة المشرق، المطبعة الأدبية، بيروت، د ط، 1915، ص 60.

2- المدح: أصبح في هذا العصر مدح الخليفة، فكان الشعراء يمدحون الخلفاء والوزراء والقادة وكل من يلعب دورًا في تصريف شؤون الدولة، فخلق الشعراء صورًا حية في نفوس الممدوحين بما استنبطوه في معانٍ دقيقة في الكرم والمروءة والشجاعة وشرف النفس وعلو الهمة. مثل ما قال به أبي تمام لأبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد في فتح عمورية:

السيف أصدق أنباء من الكتب *** في حده الحدبين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في *** متونهن جلاء الشك والريب¹

ويقول البحثري في مدح المتوكل:

خلق الله جعفرًا قيم الدن *** يا سدادًا وقيم الدين رشدًا
أكرم الناس شيمَةً وأتم النا *** س خلقًا وأكثر الناس رفدًا²

ويمدح المتنبي سيف الدولة قائلاً:

على قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ **** وَ تَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا **** وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ **** وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ **** وَذَلِكَ مَا لَا تَدَّعِيهِ الضَّرَّاعِمُ ُ

الهجاء: لم تعد العصبية في هذا العصر أساس الهجاء بسبب اختلاط الأجناس والأنساب وإنما اهتم الشاعر بسلب المهجو الصفات الإيجابية والمثالية الخلقية فكان، الهجاء يأتي طعنًا وتحقيرًا ورميًا بالقدارة والدنس والبخل والظلم، وهذا يظهر في هجاء بشار بن برد إلى الخليفة المهدي ووزيره يعقوب بن داوود:

بني أمية هُبُوا أطلال نومكم *** إن الخليفة يعقوب بن داوود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا *** خليفة الله بين الزق والعود³

4- الفخر: لم يستطع بعض الشعراء أن يتخلصوا من الفخر القبلي كتعصب ابن نواس لمواليه بني سعد، وتعصب بشار بن برد للقيسيين، والجديد في شعر الفخر أن بعض الشعراء أخذوا يصدرون في فخرهم عن إحساسهم بالمروءة والأخلاق والقيم المثلى والحث على الجهاد وملاقات الأعداء والفخر بالبطولات في المعارك والإثارة والحماسة والافتخار ولاعتزاز بالنفس مثل ما يقول المتنبي:

1- حبيب بن أوس الطائي أبي تمام - الديوان. شرحه الخطيب التبريزي، دار المعارف، القاهرة، ط 8، د ت، ص 410.

2- البحثري- الديوان شرحه وعلّق عليه حسن كامل الصيرفي- دار المعارف المصرية، القاهرة، ط 2، د ت، ص 196.

3- بشار بن برد بن يرجوخ العقلي-الديوان - شرح وجمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور د طه، د ت، ص 193.

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي *** وأسمعت كلماتي من به صمم

فالخيل والليل والبيداء تعرفني *** و السيف والرمح والقرطاس والقلم

5- الرثاء: كان الرثاء موجهاً في هذا العصر أغلبه لرثاء من يموت من كبار رجال الدولة كالأخلفاء

والوزراء، وركزوا على تمجيد البطولة والقوة في المرثي كرثاء أبي تمام "لمحمد بن حميد الطوسي".

واتجه الشعراء في رثائهم إلى الأصدقاء والأبناء والزوجات كرثاء ابن الرومي لابنه:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي*****فجودا فقد اودى نظيركما عندي

بني الذي أهدته كفاي للثرى*****فيا عزة المهدي، ويا حسرة المهدي

وأيضاً نجد رثاء المدن التي سقطت على أيدي الروم مثل سقوط الأندلس وغرناطة والقسطنطينية

حيث يقول ابن الرومي في رثاء البصرة:

أي نوم من بعد ما حلّ بالبص *** رة ما حلّ من هنات عظام

أي نوم من بعدما انتهك الزن *** ج جهارا محارم الإسلام¹

6- الوصف: كان الوصف يأتي في ثنايا القصائد قديماً. أما في هذا العصر أصبح فناً مستقلاً بفعل

الطبيعة الغنية بالجمال، وإضافة إلى المظاهر الحضارية التي عني بوصفها الشعراء كالمطر والسحب

والحدائق والقصور والبرك والطبيعة في فصل الربيع وها هو البحثري يصف لنا فصل الربيع:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً *** من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبّه النوروز في أغلس الدجى *** أوائل وردٍ كنّ بالأمس نوماً²

وظهرت أغراض شعرية أخرى كان لها أثر في الشعر العربي القديم عامة والعصر العباسي خاصة

منها:

7- الخمرة: لقد قامت ثورة أبو نواس على تقاليد الشعر القديم وذلك بقلب "المقدمة الطللية" إلى

"المقدمة الخمرية". يقف عليها في مطلع القصيدة يصف الخمرة من حيث الذوق واللون والرائحة

ووصف مجالس شربها وساقمها وساقيتها حيث يقول أبو نواس:

دع عنك لومي فإننا اللوم إغراء ***** وداويني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها*****لو مسها حجر مسته سراء

¹ - ابن الرومي أبي الحسن والعباس بن جريح، الديوان، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة، ج1 ط 3

1424هـ-2003م، ص 217.

² - ديوان البحثري، ص 311.

فهي عند ابو نواس الذي هو رائدها - تعبر عن حاجة روحية ونفسية وفكرية، وتجسد ما في نفسه من غنى روحي وفكري وسياسي وفلسفي، فالنظر إلى شعر خمريات أبو نواس يرى أنها وسيلة إلى إبداع عوالم شعرية وأداة لتفجير طاقته الإبداعية وتخليص الذات من قبضة الهموم ووسيلة التنبيه للناس، وهذا يتحكم إلى عالم الإنسانية. ويبدع في التصوير ويجعل الخمرة شقيقة روحه ويضفي عليها الحياة ويجعلها كائنا حيا، وكذلك لا حياة برأيه سوى حياة الخمر والمجون في بيوت القيان وفي الحانات ومن ثم يمضي يدعو في خمرياته دعوة واسعة إلى العدول عن وصف الأطلال إلى وصف الخمر والضياح بما يقترن بها من غناء وسقاة من ذلك قوله:

لا تَبْكِ لَيْلَى وَلَا تَطْرَبِ إِلَى هِنْدٍ **** وَأَشْرَبِ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ

كَأَسَاءً إِذَا انْحَدَرْتَ فِي حَلْقِ شَارِبِهِ **** أَجَدْتُهُ حُمْرَتَهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ

فَالْخَمْرُ ياقوتَةٌ وَالْكَأْسُ لؤلؤةٌ **** مِنْ كَفِّ جاريةٍ مَمشوقةٍ القَدِّ

تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا حَمْرًا وَمِنْ يَدِهَا **** حَمْرًا فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ

لِي نَشْوَتَانِ وَلِلنُّدْمَانِ واحِدَةٌ **** شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي

وهذا أبي الهندي ومن أبياته التي سارت في الآفاق، وفيها يدعو إلى دفنه قريبا من أصول الكرم بعد موته حبا في الخمر:

إِذَا حَانَتْ وَفَاتِي فَادْفِنُونِي *** بَكْرِمٍ وَاجْعَلُوا زَقًّا وَسَادِي

وَإِبْرِيْقًا إِلَى جَنِي، وَطَاسَا *** يَرُوِي هَامَتِي وَيَكُونُ زَادِي

وفي نفس المعنى يقول أيضا :

اجْعَلُوا إِنِّ مِتُّ يَوْمًا كَفْنِي *** وَرَقِ الْكِرْمِ وَقَبْرِي مَعْصِرِهِ

وَادْفِنُونِي وَادْفِنُوا الرَّاحَ مَعِي *** وَاجْعَلُوا الْأَقْدَاحَ حَوْلَ الْمُقْبَرَةِ

أَنْتِي أَرْجُو مِنَ اللَّهِ غَدَا بَعْدَ شُرْبِ الرَّاحِ حُسْنِ الْمَغْفِرَةِ

8- الزهد والتصوف: الزهد وهو الابتعاد عن ملذات الحياة والانشغال بالتعبد لله عزّ وجلّ و إتباع السنة النبوية الشريفة.

إن سبب انتشاره في العصر العباسي بكثرة هو تيار المجون واللهو الذي انغمس فيه كثير من الناس واستمرار الحروب وكثرة القتل وظلم الحكام والخلفاء والصراع الفكري والديني في نفوس بعض المؤمنين ، وكان رائده في هذا العصر أبو العتاهية:

فلا تعشق الدنيا أخي فإن ما *** يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء

حلاوتها ممزوجة بمرارة *** وراحتها ممزوجة بعناء¹

وكانت زهديات هذا العصر لا تخلو من عضات بالغة لبعض الشعراء الماجنين الذين تابوا بعد صحبة الضلالة في أخريات حياتهم إلى طالب العفو، فراح أبو نواس يكثر من التضرع إلى الله طالبا العفو والمغفرة على شاكلة قوله:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة **** فلقد علمت بأن عفوك أعظم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا *** فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

مالي إليك وسيلة ألا الرجا *** وجميل عفوك ثم أني مسلم

أما التصوّف فهو نزعة تتخذ من المجاهدة والرياضة الروحية وتتجاوز الظاهر وتعمق الباطن ، في حين كان الزهد اتجاها سلوكيًا ينطوي على التقشّف والإعراض عن الدنيا بالتزام العبادات وأدائها كاملة لبلوغ الجنّة والنجاة من النار، نقول إنّ موجة الزهد الحادّة في العصر العباسي هي التي أدت إلى ولادة التصوّف الذي استقلّ عن الزهد استقلالاً تاماً ، والتصوّف تجربة روحية يخوضها الإنسان مع نفسه ابتغاء الوصول إلى الله سبحانه وتعالى ، ومضى أصحابه يتحدثون عن الحبّ الإلهي ومقاماته وأحواله ، وكانوا يأخذون أنفسهم بمجاهدات عنيفة في التقشف والنسك مع الانقطاع عن الدنيا والخلوص التام للمحبّة الإلهية والنشوة بها إلى درجة الفناء في الذات العلية ، ولهم أشعار كثيرة يصوّرون بها هذا العشق وما ضلع في قلوبهم من لوعة لا يمكن إطفائها ، لوعة حبّ قوي حار ، استأثر بكل ما في قلوبهم من عواطف ومشاعر ، وشغلهم عن كلّ شيء ، إذ شغفوا بمحبوبهم شغفا عظيما ، بل لقد تحوّل هذا الشغف عقيدة جمعوا فيها بين محبة الله وبين تقديسه وعبادته ، أملين منه الوصول وأن يرفع ما بينه وبينهم من حجب ، وفي كلّ مكان يلقانا كثيرون يفرغون للنسك والتبتّل

¹ - اسماعيل أبي القاسم بن سويد بن كيسان أبو العتاهية- ديوان أبي العتاهية - دار بيروت للطباعة والنشر د ط، 1406 هـ-

والعبادة ، مما دفع لظهور مقدمات التصوّف في هذا العصر أو بعبارة أخرى إلى ظهور الحبّ الإلهي يتجرّد عن كلّ مادّة وحسّ والذي يستغرق فيه المتصوّفة مشغوفين بالحقيقة الإلهية ، وما ترسله على الكون من أضواء الحقّ والخير والجمال المطلق ، ومن أروع ما يصدّر ذلك أبيات (رابعة العدويّة) المشهورة :

أحبك حبين: حبّ الهوى**** وحبّاً لأنك أهل لذاكا
فأمّا الذي هو حبّ الهوى**** فشغلي بذكرك عمّن سواكا
وأما الذي أنت أهل له**** فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي**** ولكن لك الحمد في ذا و ذاكا

وتلقانا عند الأب الحقيقي للتصوّف (ذي النون المصري) فكرة أنّ سبيل رؤية الله هو الخلوة والذكر الممتزج بالحبّ ورؤية الله تتم بالقلب عن طريق الحبّ ، ويخلفه (أبو يزيد البسطامي) فيذيع فكرة الفناء في الذات الإلهية ، أي تجرّد النفس عن رغباتها وقمعها لشهواتها وانمحاء إرادتها في الذات الإلهية ، ومن المتصوفة أيضاً (الجنيد البغدادي) (ت 257 هـ) الذي يكثر من العبارات والشطحات الموهمة في مواعظه ، وكان يعاصره أيضاً (أبو الحسن النوري) الذي يكثر في أشعاره من التعبير عن الحبّ الإلهي وفكرة الفناء في الذات العلية ، ومنهم (أبو الحسين سحنون الخوّاص) ، وله شعر كثير في المحبّة الرّبانيّة وما يصحبها من وجد لا يماثله وجد ، وكذلك في فكرة الفناء المطلق في الله ، ومن متصوفة بغداد (السّريّ السّقطيّ) (ت 251 هـ) الذي بالغ في رياضة النفس ومجاهدتها ، ومنهم (الحسين بن منصور الحلاج) (ت 309 هـ) تلميذ (الجنيد) وكان مثالا للمتصوّف المتقشّف ، و (أبو بكر الشبلي) (ت 334 هـ) .

ومن أمثلة الاتّحاد في الذات الإلهيّة قول الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا**** نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذكنا على عهد الهوى**** تضرب الأمثال في الناس بنا
فإذا أبصرتني أبصرته**** وإذا أبصرته أبصرتنا
أيها السائل عن قصّتنا**** لو ترانا لم تفرّق بيتنا
هو روحه روحي وروحي روحه**** من رأى روحين حلت

بدنا

ومن أبرز خصائص الزهد نجد ظاهرة الاقتباس الديني وكثرة الأدلة والحجج والبراهين وتوظيف أسلوب الإقناع والترغيب والترهيب و بروز النزعة العقلية الذاتية والتأملية.

أما من حيث اللغة تمتاز بالبساطة في العبارات والإكثار من الصور البيانية والإسراف في استخدام المحسنات البديعة.

9- الحكمة: إن الحكمة هي خلاصة التجربة الإنسانية. فهي ليس بالضرورة أن تقرأ في الكتب أو تؤخذ عن المؤدبين وإنما قد يتعلمها الإنسان من مدرسة الحياة.

فكانت الحكم في العصور السابقة تأتي في ثنايا قصائد المديح أو الهجاء أو الرثاء أو غيرهما... أما في هذا العصر تميزت بإغراء قصائدًا ومقطوعات كاملة.

فشعر الحكمة تأثر كثيرًا بحركة الترجمة الواسعة في ذلك العهد فأخذوها من حكم اليونان والفرس والروم.

وكان شعر الحكمة عند شعراء العصر العباسي يأخذونه من تجربتهم في الحياة فأبو العتاهية كان دائم الذكر للموت والمنتبى كان يشتق حكمه من حياة التناحر والمطامع والمعارك الأدبية والسياسية التي كان يحياها، والمعري كان يستقي حكمته من ظواهر الكون التي كان دائم الاشتغال بها. يقول بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن *** برأي فصيح أو مشورة عازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة *** فريش الخوافي قوة للقوادم.¹

و الشاعر أبي العلاء، يرثي الإنسانية جمعاء في قصيدته "تعبُّ كلها الحياة"، وتقوده حكمته لتلمس حقيقة الكون وجوهر الحياة، فكل امرئٍ وطأت قدمه الحياة، مصيره إلى الزوال والفناء، لكن الإنسان العاقل هو من يدرك حقيقة هذه الدنيا فلا يختال متكبراً ومغترّاً يقول :

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي...نوحُ بالكِ ولا ترنم شاد

وشبيهة صوت النعيِّ إذا قي... سَ بصوتِ البشيرِ في كلِّ ناد

صاحِ هذي قُبورُنا تملأ الرُحْبَ...فأين القبورُ من عهدِ عادِ

خَقَّف الوَطءَ ما أظنَّ أدِيمَ الد...أرضِ إلا من هذه الأجسادِ

رُبُّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً... ضاحكٍ من تراحم الأضدادِ

تعبُّ كُلُّها الحياةُ فما أع...جبُّ إلا من راغبٍ في ازديادِ

¹ - ديوان بشار بن برد، ص 156.

إنّ حزنًا في ساعة الموت..... أضعاف سرورٍ في ساعة الميلادِ

أمر الإله واختلف الناسُ.... فداعٍ إلى ضلالٍ وهادٍ

والليبُّ اللبيبُ من ليس يغتد..... رُبكونٍ م صيره للفسادِ

الحماسة : شعر الحماسة. وهو شعر الحرب الذي يصف المعارك ويشيد بالأبطال ويتوعد الأعداء. وهذا الغرض قد يبدو في رثاء أبطال الحروب، أو في مدحهم، أو في سياق فخر الشاعر ببطولاته في الحرب، وقد امتزج بوصف المعارك والإشادة بالبطولة. وقد أثمرت حروب القبائل في الجاهلية قصائد حماسية. وتعد معلقة عمرو بن كلثوم واحدة من عيون الحماسيات في أشعار الجاهليين، ومثلها معلقة عنتره التي امتزج فيها الفخر بالحماسة، وقصائد أخرى له.

وقد كانت قصائد الحماسة مادة للإلهاب مشاعر المحاربين، كما عدّها مؤرخو الأدب مصدرًا مهمًا لتاريخ العرب في حروبهم وأسلحتهم وأنسابهم وفضائلهم. كما كانت نماذج رفيعة لشعراء العصور الإسلامية المختلفة و نراهم يمزجون الحكمة بالتصوير الفني، ويهولون ويبالغون في التصوير، من ذلك وصف ابي تمام في فتح عمورية :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت **** عنك المنى حفلا معسولة الحلب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى **** يشله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلابيب الدجى رغبت **** عن لونها، أو كأن الشمس لم تغب

فهذا صوت قوي، وعاطفة جياشة، تمتزج بالحقيقة الناصعة، وفي الألفاظ ضخامة تناسب ضخامة الموقعة.. والأبيات في النص كتائب حربية، وصلصلة سيوف وقعقة رماح

وهذا ((المتنبي)) يصف المعارك ضد الروم، وقد كانوا جمعوا الجموع فلم تغن عنهم شيئًا، وضافت عليهم الأرض بما رحبت

وقفت وما في الموت شك لواقف **** كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمربك الأبطال كُلتى هزيمة **** ووجهك وضاح وثغرك باسم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب **** وصار إلى ألبات والنصر قادم

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما **** نثرت فوق العروس الدراهم

خصائص الشعر في العصر العباسي:

- ظهور أغراضٍ شعرية جديدة إلى جانب الأغراض القديمة المعروفة [شعر التغزل بالغلّمان. شعر الزندقة. شعر الزهد. المقدمة الخمرية].
- ظهور ألفاظ ومعاني غير عربية وخاصة الفارسية.
- التخلص من المقدمة الطللية والغزلية وظهور المقدمة الخمرية مع أبو نواس.
- كثرة الصنعة اللفظية والاهتمام بالمحسنات البديعية (أبو تمام- البحتري).

المحاضرة التاسعة: الشعر في العصر الأندلسي

يرجع أصل تسمية الأندلس إلى قوم من إسكندنافيا (السويد، النرويج، الدنمارك) الذي هاجروا وسكنوا إسبانيا والبرتغال، يطلق عليهم إسم الوندال 'واندالوسيا' الذي حولها العرب الي هاته التسمية. ويقال أيضا أن أصل الأندلس يرجع إلى (أندلس ابن يافت بن سيدنا نوح عليه السلام الذي سكن هاته المنطقة بعد الطوفان.

العصر الأندلسي هو ذلك العصر الذي عاش فيه العرب المسلمون في جنوب إسبانيا والبرتغال وذلك لما قام القائد البربري "طارق بن زياد" تحت ولاية" موسى بن نصير" على المغرب العربي بفتح الأندلس في رمضان 92هـ / 711م بعد صراع مع القوطيين بزعامة قائدهم "لوزيرق" 'Rodrigou'. كان أن ذلك الحكم أمويا في المشرق في زمن "عبد الملك بن مروان" الخليفة الأموي في دمشق، حيث مر الحكم في الأندلس بعدة مراحل:

1- المرحلة الأولى: عصر أمراء قرطبة (138هـ/316هـ) - (756هـ/924م) ويشمل هذا العصر ثمان أمراء، وفيه استطاع الأمويين إحياء الدولة الأموية بعد سقوطها على يد العباسيين ، كما استطاعوا توحيد الأندلس في ظل إمارة واحدة والقضاء على جميعز الفتن فيها ، حيث يرجع الفضل الى الأمير "عبد الرحمان الأول بن معاوية" (114 هـ / 172هـ) وكنيته أبو المطرف وصقر قريش الذي فر من دمشق هروبا من العباسيين ودخل المغرب الأقصى ثم الأندلس ، فاستقرت الأوضاع في حكمه (138هـ.172هـ)¹.

2- المرحلة الثانية : هي مرحلة خلفاء قرطبة (316هـ/422هـ). (929هـ/1031م) حيث بدأ هذا العصر بعد أن أعلن الأمير عبد الرحمان بن محمد نفسه خليفة قرطبة ولقب نفسه بالناصر لدين الله وفيها ازدهرت الأندلس وبلغت أوج عظمتها سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا وثقافيا وعسكريا حيث تداول على هذه المرحلة تسع خلفاء ودام حكمه (316هـ/350هـ) - (929م/969م).

¹ نافع عبد الله، الهجاء في الشعر العربي الأندلسي. دن جامعة بيروت. ط.1. ص 1987.

وبعد وفاته خلفه ابنه المستنصر بالله (350هـ/366هـ). (961م/976م) إنتهج سبيل أبيه في حبه للعلم مكرماً لأهله وإكرام العلماء حيث في زمنه ازدهر الشعر والنثر حيث أصبحت في خزائنه أكثر من أربعمائة مجلد.¹

وبعد وفاة المستنصر بالله حدث الاضطراب السياسي الذي أصاب البلاد واندلعت الفتن ونشب الصراع بين خلفاء بني أمية الضعاف، وكان الصراع على الحكم وانتهى بهم الأمر الى انقراضهم في بدايات الخامس هجري.

3-المرحلة الثالثة: انقسمت البلاد الى دويلات صغيرة متناثرة فبدأ عهد جديد في الأندلس هو عهد ملوك الطوائف سنة 422هـ/1033م فعاشت البلاد في حالة الفوضى والفساد والحروب الأهلية حيث بدأت هذه الدول في السقوط بعد التخاذل العربي الإسلامي، وترك فرص للإفرنج المسيحيين واليهود.²

وبعد ما انقسمت الأندلس الى ستة إمارات متخاصمة متناحرة فيما بينها بعد الفتنة حيث أصبح لكل إقليم يتزعم على نفسه الإستقلال 427 هـ والرياسة المطلقة منها قرطبة لبني حمود ثم لبني جمهور 422هـ-461م وإمارة منطقة طليطلة لبني ذي النون 472هـ-487هـ وإشبيلية لبني عباد 422هـ-484هـ ومنطقة غرناطة تحت نفوذ بنو زيري والخامسة سرقسطة خاضعة لبني هود 400هـ-537هـ، وآخر إمارة كانت لبلنسية خاضعة لبني عامر 412هـ-478هـ³ ثم بني الأفطس في بطليوس وكانت فارسية كانت تسمى سابور وزعيمها المظفر محمد بن عبد الله بن الأفطس والمتوكل أبو محمد عمر بن محمد بن الأفطس 413/477هـ ومملكة المرية لبني عامر 419هـ/484هـ

4- المرحلة الرابعة: وفي معركة الزلاقة لم تكن نصراً لملوك الطوائف بقدر ما كانت مباشرة نحو انهيار الحكم فما كانت سنة 484هـ، تطل حتى كان الزحف المرابطي يلتهم دول الطوائف الواحدة تلو الأخرى⁴. وبدأ حكمها (الدولة المرابطية) من 484هـ الى سنة 540هـ. بقيادة أبرز ملوكها يوسف ابن تاشفين.

5-المرحلة الخامسة : قضت الدولة الموحدية على الدولة المرابطية، ويمتد عصرها 524هـ إلى سنة 646هـ على يد مؤسسها محمد بن تومرت.

¹ مصطفى خليل الكسواني. زهدي محمد عيد. حسين حسن قطناني. مختارات في الشعر العربي القديم. ص164.

² نفس المرجع السابق. الصفحة نفسها.

³ عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس. دار النهضة العربية والنشر بيروت. ط2. 1396هـ. 1976م. ص94-95.

⁴ محمد عيد السعيد. الشقر في ظل بن عباد. وزارة التربية (دت). دط37.38.

فبدأت هذه الدول في السقوط بعد التخاذل العربي الإسلامي وترك فرص للإفرنج المسيحيين واليهود، وبذلك انتهى عهد الأندلس بعد سقوط آخر دولة، وهي غرناطة بعد ما قام الأمير أبو عبد الله الصغير محمد الثاني عشر بعد حصار طويل بتسليم غرناطة إلى الكاثوليكين إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة و فرديناندو الثاني ملك أرغوان بعد مشروع حرب مشترك بين المملكتين بعد حرب دامت عشرة سنوات لتنتهي وتسقط غرناطة في 2 ربيع الأول 897 هـ. في 2 يناير 1492م.

الأغراض الشعرية:

1 الغزل: لقد بالغ شعراء الأندلس في الغزل حسب طبيعة الحياة الأندلسية، حيث لم يسلم الغزل من ألفاظ نابية خاصة في عصر ملوك الطوائف وعبروا عنه بأسلوب ماجن وكان غزلهم حسي يقف عند حدود الوصف مستعيراً أوصاف المحبوبة من بيئته. لكن بالرغم من هذا النوع من الغزل (الماجن) هناك من اتخذ من الغزل الضعيف مذهباً لهم يعبرون عن مشاعرهم بلطف والتعبير الصادق وشدة لوعة الفراق، وهذا ما نجده عند ابن زيدون في قصيدته الطويلة التي بعث بها إلى ولادة بنت المستكفي يشكو فيها ألم الفراق والوجد المبرد على أيام اللقاء¹، بعد ما فرق بينهما الوزير عامر بن عبدوس:

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ألا وقد حان صبح البين صبحنا	حيناً فقام بنا للحين ناعينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم	حزنا علة الدهر لا يبلى ولا يبلىنا
أن الزمان الذي مازال يضحكنا	أنسا بقرهم قد عاد يبيكيننا ²

وترد كذلك ولادة بنت المستكفي عن ابن زيدون لما دخل الوشاة بينهما وفرقت بينهما الأيام ففاض العشق والحنين لعشيقها فتقول:

ألا لنا من بعد هذا التفرق	سبيل يشكو كل صب لما لقي
وقد كنت أوقات التزاور في الشتاء	أبيت على جمر من شوق المحرق
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي	ولا الصبر من رق التشوق معتقى

¹ البستاني. الأدب العربي، تاريخ ونصوص، الأدب الأندلسي دار الآفاق (د ب) دط. 03. ص 41.

² ابن زيدون، الديوان ووسائله، ت علي عبد العظيم، نضمة مصر للطباعة القاهرة (دط) 1387 هـ. 67.

سقى الله لك أرضاً قد غدت لك منزلاً
وبكل سكوب هاطل الودق مغدق¹

كما يجدد شوق ابن زيدون لولادة بسبب الفراق ويشتعل قلبه نارا منددة بلوعة الفراق لها ويعاتبها
حيث يقول:²

أني ذكرتك بالزهراء مشتاقا
وللنسيم اعتلال في أصائله
والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا
كأنه رق لي فاعتل اشتياقا

ونجد الشاعر لسان الدين ابن الخطيب (713هـ-776هـ) الذي ينثر على قصيدته "جاءت معذبتني" أشكالاً وألواناً من الغزل والتغزل بمحبوبته وبمزجها بعناصر الطبيعة ليرسم لنا لوحة زيتية على شدة الشوق والحب بمحبوبته بعدما طال الغياب ويدرج عنصر الحوارية فيها فيقول:

جاءت معذبتني في غميب الغسق
فقلت: نورتي يا خير زائرة
كأنها الكوكب الدرّي في الأفق
فجاوبتني ودمع العين يسبقها
أما خشيتي من الحراس في الطرق
من يركب البحر لا يخشى من الغرق³

المدح:

لقد توجه شعراء الأندلس في مدحهم إلى الخلفاء والملوك والحكام والوزراء ، حيث وصفو ممدوحهم بالشجاعة والكرم والوفاء والمروءة ، كما مدحوا تلك الانتصارات في المعارك الحربية التي قادها الخليفة بعد الفتح .
وهذا ابن هاني الأندلسي يمدح الخليفة "الفاطمي المعز لدين الله" بعد فتحه مصر وجعلها كرسي ملكه.

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فأحكم فأنت الواحد القهار

¹ نفسه. ص33.

² ابن زيدون. الديوان نفسه. ص33.

³ لسان الدين ابن الخطيب. الديوان تحقيق محمد مفتاح. دار الثقافة المغرب. 1989. ط1. ص.344.

وكأنما أنت النبي محمد
أنت الذي كانت تبشرنا به
هذا الذي تجدي شفاعته غدا
من آل أحمد كل فخر لم يــــكن

وكأنما أنصارك الأنصار
في كتبها الأحبار والأخبار
حقا وتحمد أن تراه النار
ينهى إليهم ليس فيه فخار¹

ويمدح مرة أخرى الخليفة "جعفر بن علي" لما كان يتوجع بعله فيقول:

يا خير ملتحف بالمجد والكرم
يا ابن السدى والندى والمعلوات معا
لو كنت اعطي المنى فيما أومله

وأفضل الناس من عرب وعجم
والحلم والعلم والأدب والحكم
حملت عنك الذي حملت من ألم²

الثناء:

لقد برز في شعر الأندلس الرثاء السياسي الذي يتعلق برثاء المدن والممالك ، حيث يعتبر هذا النوع في الشعر (السياسي) أبرز الفنون قولاً وتجربة وصدقاً وعاطفة وأصالة ، لأن شعراء الأندلس عاشوا تلك التجربة بعد سقوط كل مدينة أندلسية ، وراحت أقلامهم ترثي تلك المدن بنفس مليئة بالمرارة والأسى والحزن فتتوعد رثاء المدن في هذا العصر ، فكان رثاء مدينة خربها المسلمون بأيديهم فتهدمت قصورها وأمحت رسومها بسبب الفتن التي توالى عليها خاصة في عصر ملوك الطوائف ، وكان كذلك أيضا رثاء مملكة سقطت في أيدي النصارى وتم استردادها وأخرى سقطت إلى الأبد ونذكر في هذا الصدد عند ما أخذ ابن الأحمر محمد بن يوسف أول سلاطين غرناطة في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن إرضاء لهم وعملا بأن يبقى على حكمه الغير المستقر في غرناطة . قام هنا الشاعر أبو البقاء الرندي برثاء المدن الأندلسية في مرثية رائعة للأندلس تدمع لها العين وتتحسر لها النفس حيث يقول بعد سقوط غرناطة:³

لكل شيء إذا ما تم نقصان
هي الأمور كما شاهدتها دول

فلا يغربطيب العيش إنسان
من سره زمن ساءته أزمان

¹ ابن هاني الأندلسي . الديوان تحقيق كرم البستاني . دار بيروت للطباعة والنشر (دط) . 1400 هـ . 1980 م . ص 146 .

² نفسه . ص 335 .

³ مختارات من الشعر القديم . ص 168 .

وهذه الدار لا تبقى على أحد
فأسال بلنسية ماشأن مرسية
وأين قرطبة دار العلوم فكم
ولا يدوم على حال لها شان
وأين شاطبة وأين جيان
من عالم قد سما فيها له شان

كما نجد ابن شهيد الأندلسي يرثى مدينة قرطبة بعد سقوطها بسبب الفتنة (633هـ) بعد حصار
مدينة قرطبة الطويل من قبل فرناندو الثالث ملك قشتالة حيث يقول:

ما في من الطلول من الأحبة
فمن الذي عن حالها نستخبر
مخبر
لا تسألني سوى الفراق
ينبيك عنهم أنجدوا أم أعوروا
فإنه
جار الزمان عليهم
فتفرقوا
فممثل قرطبة يقل البكاء
متفطر لفراقها متحير
من
ريح النوى فتدمرت وتدمروا
دار أقال الله عثرة
أهلها
في كل ناحية فريق
منهم
يا جنة عصفت بها
وبأهلها

الهجاء :

لقد تنوع الهجاء في الشعر الأندلسي من قبلي عنصري بين العرب والمولدين ،والهجاء السياسي كما
بالغ شعراء الأندلس في هجاء المسلمون الذين تخاذلوا مع النصارى في زمن ملوك الطوائف وذكروا

تلك الخيانات المهينة والمشينة لتحالفهم مع النصارى للقضاء على مملكة مجاورة. وكذلك نجد هجاء المدن باعتبار أن الشاعر كان يرسم صورة حية للأوضاع الاجتماعية ووصفا دقيقا للطبيعة الوعرة الصعوبة التأقلم مع بعض أوضاعها وهذا "أبو الفتح ابن ناصر" يهجو مدينة رندة فيقول:

قبحت مطالعة الذنوب

قبحا لرندة

وما أن يفارقه القطوب

مثلما

إلا وعاجله النكوب¹

بلد فيه

وحشة

لم يجر

لي طرف بها

كما نجد الشاعر السُميسر يهجو مدينة المرية وينعتها بأنه لا يوجد من سكن هذه المدينة شيء يحبه، حيث تعبت بها الريح في هبوب تارة وانعدام تارة أخرى ويقول:

ليس فيها لساكن ما يحب

بئس دار المرية فيها

ربما قد تهب أولا تهب²

بلدة لا تمار إلا بريح

وأيضا:

نظافة قلت إيه

قالو المرية فيها

ويبصق الدم فيه³

كأنها طست تبر

كما هجا شعراء الأندلس المسلمون العرب الذين تخاذلوا مع النصارى للقضاء على المدن الأخرى بسبب النزاعات الداخلية السياسية فهذا الشاعر "ابن العسال" يهجو ويلقي اللوم على المسلمين في

¹ المقرئ التلمساني ، نفخ الطيب في عصر الأندلس الرطيب. إحسان عباس. دار صادر بيروت. دط. 1408هـ.ص.

² ابن بسام. الدخيرة. إحسان عباس الدار العربية للكتاب. ليبيا تونس. ط. 1.1974.ج.

³ المصدر نفسه . ص481.

سقوط مدينة "بريشتر" على يد النورمانيين بقيادة ألفونسو السادس لما تخاذل ملوك الطوائف على عدم تقديم المساعدة ويد العون وتركوا الفرصة للنصارى، وقبل أن يفعلوا ما فعلوا بمسلمين بريشتر:

باتت قلوب المسلمين برعيمهم	فحماتنا في حريمهم جبناء
لولا ذنوب المسلمين وأنهم	ركبوا الكبائر مالهن خفاء
ما كان ينصر النصارى فارس	أبدا عليهم فالذنوب الداء
فشراهم لا يختفون بشرهم	وصلاح منتحلي الصلاح رياء

وقد تناول الهجاء السياسي كيان الدولة ونظامها ورجال السياسة الذين يتولون مقاليد الحكم وينشطون إلى تصريف شؤون الدولة والمجتمع، وعندما فسدت الأحوال السياسية في الأندلس اتسع ميدان الهجاء فوجدوا الشعراء مجالا للتوجه لمحاربة الفساد السياسي بالنقد والسباب والتجريح والتشهير ولعل خير ما يمثل هذا التناول ابن شرف القيرواني:¹

مما يزهديني في أرض أندلس	ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها	كالهريحي انتفاضا صولة الأسد

فيهجوا الشاعر الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي كان قد اشتهر بالفسق والسكر وبفجوره حيث كان قاسيا شديدا البطش بالناس، ويرى الشاعر أنه كان شؤما على البلاد والعباد فيقول:²

أشأم خلق على العباد	والناس من حاضر وباد
أبو الوليد الذي اقشعرت	لنحسه شعرة البلاد
كان على قومه جميعا	من مزار عاد لقوم عاد

¹ جودت الركابي . في الأدب الأندلسي . دار المعارف مصر دط. ص 24.

² ابن عزاري المراكشي، البيان المغرب، تحقيق كولان، بروفيسال، دار الثقافة، بيروت، د ط. د ت ج 3، ص 80.

كما وجدنا هجاء موجها للنصارى واليهود وما فعلوا بالمسلمين ،فهذا أبو الحسن يوسف ابن الجدي
يهجو اليهود في غرناطة في سخط وغضب فيقول:

الفخر:

إن الاختلاط الجنسي والقبلي في الأندلس من نصارى ومسلمة مولدون من جهة،وعرب وبربر من
جهة أخرى،وظهور ملوك الطوائف والانقسامات عاشت الأندلس في نيران الفتنة والفوضى والفساد
فأصبح لكل فئة شعراؤها يدافعون على انتمائهم العرقي ويفتخرون بنسبهم وشرفهم وكرمهم وبآبائهم
وشجاعتهم وحمائيتهم لإمارتهم وحسن سياستهم وتدبيرهم .فهذا المعتضد محمد بن عباد صاحب
اشبيلية يرى لنفسه بفقته للأمور السياسية وسحقه للأعداء وكسب المحامد والذكر الجميل بالغا في
دنياه كل ما يتمنى محققا لنفسه كل ما يريد في المعالي والأمانى فيقول:¹

أقوم على الأيام غير مقام	وأوقد في الأعداء شر ضرام
وأنفق في كسب المحامد مهجتي	ولو كان في الذكر الجميل
وأبلغ من دنياي نفسي سؤلها	وأضرب في كل العلا بسهامي

ويفتخر المستنصر بن الناصر بالانتماء الأموي ويعتز بقبيلته وشجاعة أهلها لما هجاه نزار
الفاطمي الملقب بالمستنصر صاحب مصر يقول:²

ألسنا بني مروان كيف تبدلت	المال أو دارت علينا الدوائر
إذا أولد المولود منا تهللت	له الأرض واهتزت إليها المنابر

كما افتخر شعراء ملوك الطوائف بعلمهم وأدبهم كأنهم نجم ساطع يرسم فالأفق أحلى إشراقا
حيث يقول ابن حزم الأندلسي:³

أنا الشمس في جو العلوم منيرة	لكن عيبي أن مطلعني الغرب
------------------------------	--------------------------

¹ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات بالأندلس، دار المعارف . القاهرة، ط د ت 287.

² نوح الطيب . ج3. ص558.

³ .الدخيرة.1 ج.173.

على ما ضاع من ذكرى النهب

ولو أني من جانب الشرق طالع

وكذلك نجد ابن شهيد الأندلسي يفتخر بعلمه وسمو أخلاقه بالتحلي بالصبر وكظم الغيظ وعدم التملق والتفوه إلا لغير الحق فيقول:¹

بالعلم يفخر يوم الحفل حامله*****وبالعفاف غداة الجمع يزداده

شعر الطبيعة:

تتميز طبيعة الأندلس بسحرها الأخاذ حيث تحيط بها بحار هادئة وسماء صافية وتربة خصبة وهي دائمة الاخضرار بلون أشجارها والحشائش الياض، يتخلل هذه الطبيعة أنهار و غدران ، ونسيم عليل يتهدى بين الرياحين فهي أقرب إلى لوحة فنية ناطقة، فهي بستان زاه بالألوان أو حديقة غناء ، هذا ما دفع الأدباء الأندلسيين بطبيعة بلادهم إلى تأليف كتب في هذا الباب مثل كتاب (الحدائق لابن فرج الجياني) وكتاب (البديع في وصف الربيع لأبي الوليد أسماعيل الحميرس).

كما كان للشعراء الأندلسيون نصيب في هاته الطبيعة من حيث وصفها بالحسن والجمال والعذوبة والدقة، وهذا ما نجده عند شاعر الطبيعة ابن خفاجة (1058م-1138م) لوصفه لحديقة بالنور، مثل جمال المرأة ويسقط عليها تلك المواصفات في قوله:²

ريح تلف فروعها معطار
سحاب أذيال السرى سحار
والجذع رند والخليج سوار
وتطلعت شنبا بها الأنوار

وصنف شعراء الأندلس شعر الطبيعة الى أربع أصناف:

أما الوصف الأول خصصه للروضيات وهو شعر يختص في الرياض وما يتصل بها ، ووصف آخر للزهريات شعر مختص بالآزاهير مثلما مر علينا في القصيدة لابن خفاجة في وصفه للحديقة ' ووصف آخر للثمريات يختص بالأثمار والبقول وما يتصل بها.

¹لسان الدين بن الخطيب. ديوان . ص163

²مختارات في الشعر العربي القديم. ص179.

والصنف الأخير شعر مختص بالمائيات يصف الأنهار والبرك والبحر والسواقي نذكر في هذا الصنف أبياتا رائعة لابن حمديس في وصف بركة من الماء في أحد القصور وقد احتوى على تماثيل لأسود تقذف الماء من أفواهها وما زادها جمالا تلك النقوش والنحوت والزخارف المحاطة بهاته البركة حيث يقول:¹

وضراغم سكنت عرين رياسة
فكأنما تخشى النضار حبسوهما
تركت غير الماء فيه زئيرا
وأداب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكوئها متحرك في
النفس هناك مثيرا

خصائص الشعر في العصر الأندلسي:

- 1- قصائدهم على شكل مقطوعات لا قصائد مطولة وخاصة في شعر الطبيعة.
- 2- كثرة المحسنات البديعية وخاصة التشبيه والاستعارة.
- 3- رقة الألفاظ والعناية بها وهذا ما جعلها تتناغم مع الغناء.
- 4- صدق العواطف وخاصة في شعر الغزل بإظهار الشوق ولوعة الفراق للمحبوبة .
- 5- البساطة في التعبير وسلاسة وسهولة اللغة والتركيب.
- 6- التأثر بالطبيعة الحسناء.

¹ عبد الجبار بن حمديس الصقلي. الديوان تحقيق احساس عباس. دار صادر بيروت.ص58

